

ركيزة الوحدة الإنسانية وأسسها في ضوء العقيدة الإسلامية

The principle of Human Unity and Its Foundations in the Light of Islamic Creed

برامه أحسن

Barama ahcene

بن شبيحة سميرة*

Benshiha Samira

جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة- الجزائر-

Emir Abd El kader University Constantine-Alegria-

Barama.ahcene@Yahoo.fr

Samira.1302@yahoo.fr

تاريخ النشر

Publication date

31/05/2024

تاريخ القبول للنشر

Acceptance date

23/05/2024

تاريخ الاستلام

Submission date

29/11/2023

ملخص:

سنحاول في بحثنا هذا دراسة الوحدة الإنسانية وأثرها العميق في حياة الإنسان، وتعتبر النظرة القرآنية له فريدة ومميزة حيث يعتبره آية عظيمة من آيات الله، ويجسد المكانة الفريدة والرفيعة للإنسان من خلال إشارته المتكررة إلى تميزه بالعقل والفهم، معتبرا إياه خليفة لله في الأرض، فالإسلام يُظهر تفانيه في تعزيز هاته الكرامة ويدعو إلى التعايش السلمي والعدالة في التعامل مع الآخرين مما يجعل هذه القيم تمثل جوهر التعاليم الإسلامية، فكيف يمكن للإنسان تحقيق تميزه وتقديمه في الحياة من خلال استخدامه الحكيم لعقله وحواسه، وكيف يمكن لهذا الفهم العميق للعالم من حوله أن يسهم في تحقيق كرامته؟

الكلمات المفتاحية: التكوين الإنساني؛ الكرامة الإنسانية؛ الوحدة الإنسانية؛ وحدة التسخير؛ وسائل المعرفة.

Abstract:

This study delves into human unity and its impact on life, drawing from the perspective of Islamic doctrine. The Quranic outlook sees humanity as a significant sign of God, highlighting its unique status through intellect and understanding. Islam is committed to uplifting human dignity, endorsing peaceful coexistence and justice, making these values central to its teachings. The study explores how individuals can excel in life through wise use of intellect and senses, and how this understanding contributes to realizing human dignity.

*المؤلف المراسل

Key words: Human formation; Human dignity; The human unity; Harnessing unity; Means of Knowledge.

مقدمة:

خلق الله عز وجل هذا الكون في غاية الجمال والتناغم ليكون مظهرًا آخرًا من آياته الساحرة ودليلاً على وجوده السبحاني وحكمته العليا، ومن عظمتته وحكمته أن جعل هذا الكون تترابط عناصره بتناغم، ويأتي القرآن الكريم ليؤكد صراحة على فكرة وحدة الإنسانية وتربط الأسرة والإخوة الإيمانية بين المؤمنين بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، ويظهر إعلان القرآن الكريم عن هذه الوحدة الإنسانية التي تجعل البشرية جسداً واحداً ونفساً واحدة، وفي هذا السياق تتجلى تعاليم القرآن الكريم كدليل إشراف الإنسانية وتحقيق تلاحمها فالتفاف البشر حول هذه الفهم الإلهي يعزز الأمل في إقامة مجتمع يتسم بالعدل والمحبة، ويأتي القرآن الكريم كرسالة للبشر لتذكيرهم بأنهم جميعاً أبناء هذا الكون الواحد، مدعوون للتعايش بسلام وتحقيق وحدة إنسانية تسهم في بناء عالم يشرق بنور الفهم والمحبة.

فالحديث عن الكرامة الإنسانية في الرؤية الإسلامية التوحيدية نجدها تحظى بأهمية كبيرة، حيث تُعتبر الأساس الراشح الذي تستند إليه التشريعات الإسلامية لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، والله عز وجل اختار أن يميّز الإنسان في خلقه بتكريمه وتفضيله وتشريفه، فله مكانة فريدة لا تشترك بها سائر المخلوقات، إذ خلقه الخالق بيده، ونفخ فيه من روحه، وأمر ملائكته بالسجود له، كإشراف واحترام، ولإبراز فضله الخاص، وبحكم إرادة الله أُجِدَّ الإنسان كخليفة وصديق وولي وحامل للمعرفة وجعله الله خليلاً، وكرماً، وأميناً، ومكاناً لإظهار حكمته وتجلي محبته، حيث يكون المستقر لأسراره والمحل لحكمه والمرادف لمثوبته.

1. أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

- أهمية القضايا الإنسانية؛ فالموضوع يتناول قضايا أساسية تتعلق بالإنسان وكيفية تكوينه وكرامته، وهذه القضايا تمس جوانب حياتنا اليومية وتؤثر في فهمنا للذات والآخرين.
- الإلهام من القرآن الكريم؛ فاختيار موضوع يتعلق بوحدة التكوين والكرامة في القرآن الكريم يفتح الباب أمام فهم عميق للتعاليم الإسلامية والمفاهيم الإنسانية الواردة في القرآن الكريم.

- البحث في الربط بين الدين والعلم؛ يوفر الموضوع الفرصة للتفكير في كيف يرتبط العلم الحديث والاكتشافات العلمية مع التعاليم الدينية الواردة في القرآن الكريم، يمكن أن يساعد ذلك في توسيع الفهم حول كيفية تفاعل الإنسان مع العالم من حوله.
- التأكيد على أهمية التفكير والتأمل؛ يشجع موضوع دراستنا على التفكير والتأمل في الخلق والوجود، وهو أمر يعزز التفاعل الفعال مع المعرفة والبحث عن معنى الحياة والوجود.
- تعزيز قيم الفهم والاحترام؛ يمكن أن يساهم الفهم العميق لوحدة التكوين والكرامة الإنسانية في تعزيز قيم الفهم والاحترام المتبادل بين الأفراد، مما يساهم في تحقيق التسامح والتعايش السلمي في المجتمع.

2. أهداف الدراسة:

- دراسة كيفية تناول الإسلام قضايا وحدة التكوين والكرامة الإنسانية.
- فهم دور هذه المفاهيم في توجيه سلوك وتصرف الإنسان.
- تطوير رؤية أعمق حول طبيعة الإنسان وتأثير العوامل على كرامته.
- تعزيز التفهم والتقدير للنفس وللآخرين.
- تعزيز قيم التسامح والاحترام:
- بناء قيم التسامح والاحترام المتبادل عبر فهم أعمق لتعاليم الدين حول الوحدة والكرامة.

3. هيكل البحث:

اشتمل البحث على مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث تضمنت المقدمة أسباب اختيار الموضوع ومستخلص البحث وهيكل البحث، تلاها المبحث الأول الذي احتوى على وحدة التكوين الإنساني ثم المبحث الثاني: وفيه وحدة الكرامة الإنسانية، أما المبحث الثالث فتحدث عن وحدة وسائل المعرفة لتأتي الخاتمة التي تحوي أهم النتائج، وخاتمة قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول:

وحدة التكوين الإنساني

إن الله عز وجل خلق الإنسان متكاملًا مزوجًا بين توازن المادة والروح، وقد أشارت الأبحاث التي أجراها العلماء حول تكوين الإنسان على أنه يتكون من جسد مادي متصل

بالأرض وروح شفاقة تتطلع نحو السماء، فالجسم يعكس الجوانب الحيوية والدينية في الإنسان بينما ترتفع الروح نحو الله عز وعلا، فالإنسان تتملكه رغبات وشهوات من خلال جسده، بينما تسعى روحه نحو الرقي والتقرب من الله تعالى بينما تتضمن نفسه الجوانب المزدوجة حيث تحمل فيها الخير والشر والتقوى والفجور، وهذه الأبحاث تتفق مع ما ورد في آيات الله تعالى بخصوص خلق وتكوين الإنسان.

المطلب الأول: وحدة المادة

إن آدم عليه السلام أب للبشرية بأسرها وخلق الله تعالى من العدم ليكون خلقاً فريداً في نوعه، فلم يكن خلقه ذاتياً ولم يخلق نفسه بنفسه، ولم تكن ذاته التي يتكون منها هي التي خلقته، بل خلقه الله تعالى بقدرته العظيمة، ونفخ فيه من روحه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة ص، الآية 72)، وهاته العملية الخلقية شملت مراحل متقنة كما ذُكرت في كتاب الله تعالى وهي كالآتي:

أولاً: طور التراب: قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ (سورة الحج، الآية 05)، ويقول الراجحي إن الله تعالى استدل على البعث بالبدء، يعني: أن الذي خلقكم من تراب ثم من علقه قادر على أن يعيدكم ويعثكم مرة أخرى، كما قال سبحانه وتعالى في آية الروم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (سورة الروم، الآية 67)، يعني: وهو هين عليه¹.

ثانياً: طور الطين: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ (سورة المؤمنون، الآية 12)، وجاء في تفسير الطبري يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء وناار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا، والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميما، فتقول: طين لازم².

ثالثاً: الصلصال: وقوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (سورة الرحمن، الآية 14)، وهو الطين اليابس الذي لم يطبخ، فإنه من يسه له صلصلة إذا حرّك ونقر كالفخار، يعني أنه من يسه وإن لم يكن مطبوخا، كالذي قد طبخ بالنار، فهو يصلصل كما يصلصل الفخار، والفخار: هو الذي قد طبخ من الطين بالنار³.

رابعاً: نفخ الروح: إذ قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية 29)، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان، وأضافه إلى نفسه تشريفاً ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجدوا تحية لا سجدوا عبادة⁴.

مما سبق يتبين لنا أن الله - سبحانه وتعالى - خلق سيدنا آدم - عليه السلام - من تراب كونه الإنسان الأول، ومع ذلك هل يعني ذلك أن البشر جميعهم حُلِقُوا من تراب أيضاً؟ والقرآن الكريم يوضح لنا كيفية خلق الإنسان في سياقات مختلفة، وبدأ الله سبحانه وتعالى بتخصيص سيدنا آدم - عليه السلام - بهذا كونه أب البشرية، وكل ما فينا يرتبط به ولو بطريقة مختلفة، فبداية خلق ذرية آدم - عليه السلام - من نقطة لا تتعارض مع أنها تأتي من تراب، حيث أن الماء والتراب هما الأصلان اللذان خلقهما الله - تعالى - في البداية قبل خلق الإنسان، ثم جمع الله جسم الإنسان من هذين العنصرين؛ لأنه أراد ذلك، ولو شاء لخلق الإنسان دون هذين الأصلين، ولكن ذلك كان بحسب مشيئته عز وجل -، ونجد في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم - تأكيداً على ذلك فقال: (إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والحبيث، والطيب)⁵، فالحديث يُشير لنا إلى أن أصل البشرية بأكملها يمتد إلى الأرض، وهي الأرض التي تتنوع فيها المناظر بين السهول والجبال والوديان، وتتواجد فيها الأشجار والصخور، وبنفس الطريقة يأتي بنو آدم مُتنوعين تنوعاً يُشبه تنوع البيئة التي خلقوا فيها.

المطلب الثاني: وحدة الروح

1. معنى الروح:

أ. الروح لغة⁶: الروح يذكر ويؤنث، والجمع: الأرواح وكل شيء فيه روح فهو روحاني. والروح (بسكون الواو): الاستراحة والراحة، والريحان: الرحمة والرزق. وللروح في كتاب الله عدة معان هي⁷: الرحمة، الوحي، جبريل عليه السلام، عيسى (عليه السلام)، القرآن الكريم، وأخيراً "الحياة" وهي التي تعيننا في هذا البحث لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُومَ وَأَنْتُمْ حَبِيذٌ تَنْظُرُونَ وَحُنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (سورة الواقعة، الآية 87).

ب. اصطلاحاً: وقد اختلف العلماء في مفهوم الروح ولم يتفقوا على مفهوم واحد، فعرّفها الجرجاني بأنها: "اللطيفة العالمة المدركة في الإنسان"⁸، وعرّفها الغزالي بـ: "المعنى الذي يدرك من الإنسان العلوم وآلام الغيوم ولذات الأفراح"⁹.

وعزفها ابن القيم بأنها: "جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جنس نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد"¹⁰.
وأما ابن كثير فيرى بأنها: "ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر"¹¹.

2. في بطن الأم جنينًا: وهو بداية الخلق حسب أقوال أهل العلم وقد جاء في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ فقد ذكر الطبري أن المقصود بالخلق الآخر، هو نفخ الروح، وروى هذا المعنى عن ابن عباس، وعكرمة، والشعبي، ومجاهد، وأبي العالية، والضحاك، وذكر الطبري أقوالاً أخرى في تفسير الآية، لكنه رجح هذا القول؛ وعلل ذلك؛ بأن الجنين يكون عبارة عن نطفة، وعلقة ومضغة وعظم، وينفخ الروح فيه؛ يتحول عن تلك المعاني كلها إلى تلك المعاني الإنسانية¹² وكذلك اختار هذا الرأي الحافظ ابن كثير، وقد ذكر رأياً آخر، يقول أصحابه: إن الخلق الآخر، معناه: تنقل المرء من حال إلى حال، فقد كان جنيناً، ومر بمراحل، ثم كان طفلاً، ثم صار شاباً... إلخ مراحل حياته، وبعد أن ذكر ابن كثير هذا الرأي؛ جمع بين الرأيين؛ فقال: "ولا" منافاة؛ فإنه من ابتداء الروح فيه؛ شرع في هذه التنقلات والأحوال¹³.
ويكون نفخ الروح بعد مرحلة العلقة نحو أربعة أشهر، فقد قال الرسول - صلى الله عليه وسلم -: (إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسل الملكُ فينفخ فيه الروح، ويُؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد)¹⁴، أي خلقاً مبايناً للخلق الأول مباينة ما أبعدها؛ حيث جعله حيواناً بعد أن كان جاداً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم، وبصيراً وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره - بل كل عضو من أعضائه، بل كل جزء من أجزائه - عجائب فطرية، وغرائب حكمته، لا تُدرَك بوصف الواصف، ولا تبلغ بشرح الشارح..."¹⁵.

المطلب الثالث: وحدة الفطرة:

الفطرة لغة هي البداية بدليل ما روى عن ابن عباس أنه قال: "كُنْتُ ما أدري ما فطر السماوات والأرض، حتى احتكم إليّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما أنا فطرتها أي أنا ابتدأتُ حفرها"¹⁶ وقال صاحب اللسان في شرح قوله. صلى الله عليه وآله: كل مولود يولد على الفطرة، قال: الفطر: الابتداء (والاختراع)¹⁷ وقال الراغب¹⁸: الفطرة: الحالة كالجلسة والركبة وقال أيضاً: وفطر الله الخلق، وهو: إيجاد الشيء وإبداعه على هيئة مترشحة لفعلٍ من الأفعال، فقوله: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

إنَّ التعاريف التي حدَّدها العلماء للفطرة. بالمفهوم الاصطلاحي تكاد تكون مُرادفة للمعنى اللغوي لها، فمن ذلك ما ذكره الجرجاني، بأنَّ الفطرة: هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين¹⁹ وأكد ذلك المناوي عن ابن الكمال تعريفه لها: "بأنَّها الجبلة المتهيئة لقبول الدين"²⁰، وفي هذا الإطار يقول الراغب: "هي ما رَكَّبَ الله في الانسان من قوته على معرفة الايمان"²¹.

توجد العديد من الأدلة في القرآن الكريم التي تؤكد حقيقة معنى الفطرة، وسأحاول تقديم أمثلة منها: قال الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 79)، ومعنى فطر السماوات أي أوجدها وخلقها، وجاء في تفسير الطبري "إني وجهت وجهي في عبادتي إلى الذي خلق السماوات والأرض، الدائم الذي يبقى ولا يفتي، ويُحيي ويميت = لا إلى الذي يفتي ولا يبقى، ويزول ولا يدوم، ولا يضر ولا ينفع"²²، وقوله تعالى: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (سورة الإسراء، الآية 51)، أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا مذكورا ثم صرتم بشرا تنتشرون فإنه قادر على إعادتكم ولو صرتم إلى أي حال، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (سورة فاطر، الآية 01)، ولفظ فاطر هنا يدل على الخالق كما جاء في تفسير البغوي "خالقها ومبدعها على غير مثال سبق"²³، وقوله عز وجل: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (سورة مريم، الآية 90)، أي: يتشققن فرقا من عظمة الله²⁴، وقوله تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ (سورة الروم، الآية 30)، أي صنعة الله التي خلق الناس عليها²⁵.

مما سبق نجد أن هناك عدة آيات قرآنية تثبت فكرة الفطرة في الإسلام، فمنها من تشير إلى الحالة الأصلية للإنسان والإيمان بوجود الله والانحياز الطبيعي نحو الخير والحق، ونجد في القرآن الكريم أن الله يُظهر للبشر الحقيقة بشكل طبيعي من خلال الفطرة، وهو الخالق والمبدع للكون وكل ما فيه، الآيات التي سبقت تُظهر كيفية توجيه الله للإنسان والتذكير بخلقه وفطرته، فالله عز وجل هو الذي خلق السماوات والأرض، وأن البشر خلقوا على هذه الفطرة، وبالتالي فهم ملزمون بالتوحيد والإيمان بالله الواحد.

المطلب الرابع: الزوجية النابعة من الوحدة:

قال عز وعلا: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ (سورة النحل، الآية 18)، وهنا دلالة واضحة على النعم الكثيرة التي من الله بها علينا، وقد أخبرنا الله في كتابه الكريم بأنه خلقنا نحن الرجال والنساء من نفس واحدة، وهذه النفس الواحدة هي آدم، ويكمن الجمال في هذا

الخلق في أن نوع الرجال والنساء لا يأتون ككيانات منفصلة تمامًا بل هما جزءان من نفس الأصل، لو كان الله قد خلق النساء بطريقة مستقلة تمامًا عن الرجال، مثل خلقهم من مادة مختلفة عن الطين أو خلقهم بشكل منفصل من الطين لكان هناك تفاوت وانفصال بينهما، والحقيقة هي أن خلق حواء من آدم يُظهر الوحدة والتكامل في خلق البشر وهذا يشير إلى الحكمة والتدبير الإلهي الذي يرتبط بكل جزء في الكون، كما جاء الحديث الصحيح من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن خلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً)²⁶، فهذا يعني أن أصل تكوين المرأة هي جزء من الرجل، ومعلوم أن أعلاه مما يلي منبت الضلع فإن الضلع يكون فيه اعوجاج، هذا معروف، فالعنى أنه لا بد أن يكون في خلقها شيء من العوج والنقص، ولذلك حن الرجل إلى المرأة وحنّت المرأة إلى الرجل وتجانسا: حنين الشيء إلى مادته وتجانس المادة بجنسها.

إن تكوين المجتمع - بمفهومه الواسع - من الذكور والإناث وهذا التنوع في الجنسين كما أخبرنا الله - سبحانه وتعالى - ينبع من أصل واحد، هكذا يظهر التفاعل الطبيعي والتوازن في العالم، حيث يكمل الرجال والنساء بعضهم البعض، مما يسهم في تحقيق الوحدة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (سورة النساء، الآية 01)، وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة²⁷، وقوله سبحانه: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا﴾ أي: من تلك النفس {زَوْجَهَا} يعني: حواء -عليها السلام-، وهذا هو قول جمهور المفسرين وعامتهم سلفاً وخلفاً²⁸، ويقول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفَةً وَزَرَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفْئَالًا طَلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 72)، والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا جعل بمعنى خلق وقد تقدم من أنفسكم أزواجا يعني آدم خلق منه حواء²⁹، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 98)، هذا نوع رابع من دلائل وجود الإله وكمال قدرته وعلمه، وهو الاستدلال بأحوال الإنسان فنقول لا شبهة في أن النفس الواحدة هي آدم عليه السلام وهي نفس واحدة، وحواء مخلوقة من ضلع من أضلاعه، فصار كل الناس من نفس واحدة وهي آدم³⁰، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (سورة الأعراف، الآية 189)، هنا يبينه تعالى على أنه خلق جميع الناس من آدم عليه

السلام، وأنه خلق منه زوجه حواء، ثم انتشر الناس منها³¹، وصدق رسوله الصادق الأمين (النساء شقائق الرجال)³²، وجاء في تفسير الحديث لابن باز أنهم من جنس الرجال كالنصف من الرجل، كونها خرجت من الرحم كما خرج هو من الرحم، خرجت من الرجل كما خرج من الرجل، فهن شقائق الرجال في كل الأمور، إلا ما استثناه الشارع.

فالآيات السابقة تسلط الضوء على الفكرة الأساسية للوحدة والتكامل في الزوجية وكيفية ارتباط المرأة والرجل بشكل عميق وطبيعي، وتُشدد على أن الله خلق الرجل والمرأة من نفس الأصل، وهو آدم، وأن هذا التشكيل يظهر التكامل والوحدة في الخلق، فإذا كان الله قد خلق النساء ككيانات منفصلة تمامًا عن الرجال فسيكون هناك تفاوت وانفصال قد حدث بينهما، ولكن بدلاً من ذلك خُلِقَت المرأة من ضلع من آدم، مما يظهر التكامل والوحدة في الخلق.

المبحث الثاني:

وحدة الكرامة الإنسانية

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 70)، فالله عز وجل يُشير إلى أنه قد منح بني آدم (أي البشر) الكرامة والرفعة، وقد منحهم الله القدرة على العيش على وجه الأرض والبقاء في بيئات مختلفة، وتُظهر هذه الآية العظمة والقدرة الإلهية في خلق الإنسان ومنحه القوة والقدرة على استكشاف العالم المحيط به.

المطلب الأول: نفخة الروح وسجود الملائكة

إن مصطلح "نفخة الروح" تشير إلى لحظة إبداع الله للإنسان ومنحه الحياة، كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة ص، الآية 72)، أما "سجود الملائكة" فتشير إلى طاعة الملائكة لأمر الله بالسجود للإنسان عند خلقه، مظهرًا لفضيلة الإنسان وقدرته على الخلافة في الأرض والطاعة الكاملة لله.

أولاً. نفخة الروح: ذهب العديد من العلماء السابقين بأن الروح تنفخ في الجنين بعد اكتماله أربعة أشهر، استناداً لحديث ابن مسعود (رضي الله عنه) المتفق عليه "إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع،

فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، وإن أحكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة" رواه البخاري ومسلم. بينما ذهب العديد من العلماء المعاصرين (من أساتذة شريعة وأطباء مسلمين) إلى أن الروح تنفخ في الجنين بعد اكتماله الأربعين الأولى، استناداً لحديث حذيفة (رضي الله عنه) الذي رواه مسلم واعتماداً على التقدّم العلمي الهائل الذي حدث في هذا العصر، والذي تبين فيه أن كثيراً من أجهزة جسم الجنين تعمل في هذه المرحلة³³.

فالروح أمر غيبي ليس مرتبط لا بالعلم أو بالطب أو بأي شيء آخر لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (سورة الإسراء، الآية 85)، والروح هي سر الله في الخلق، وليست هي النمو أو التكاثر أو التغذية أو الحركة أو الحياة، وإنما تعرف الروح بالحركات الإرادية الاختيارية³⁴.

فالنفخ في الروح هي عبارة عن التكريم والتشريف استناداً لقوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ (سورة الحجر، الآية 29)، أما بالنسبة لكيفية النفخ فهي غير معروفة ولكن المعنى واضح، ويفهم أن "النفخ" هو فعل الله تعالى والمعنى الدقيق له معروف، في حين يظل الكيف غامضاً ومجهولاً، ويعتبر الإيمان بالنفخ من الله عز وجل واجباً بينما يُعتبر الاهتمام بمعرفة كيفية النفخ بدعة، هذه القواعد تمثل إجماع السلف وتوجيهاتهم في هذا السياق.

ثانياً. سجود الملائكة: السجود لغة هو الخضوع والتذلل أو التضامن والميل وشرعاً: أقله وضع بعض الجبهة مكشوفة على الأرض أو غيرها من المصلي لخبر: إذا سجدت فمكن جبهتك (من الأرض) ولا تنقر نقراً³⁵ وخبر خباب بن الأرت: شكونا إلى رسول الله (ص) حر الرضاء في جباهنا وأكفنا فلم يشكنا³⁶، أما السجود شرعاً فهو الانحناء والميل باتجاه الأرض بشكلٍ كاملٍ بوضع أعضاءٍ محددةٍ ذكرها آتياً- على الأرض، واستقرارها عليها³⁷.

وهناك نوعان من السجود سجود عبادة وسجود تحية وتكريم وهذا ما نحاول التطرق إليه، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ (سورة يوسف، الآية 100)، فهنا السجود سجود حكمة، قيل أنه كان جائزاً في الأمم السابقة حتى زمان يعقوب عليه السلام، فكان آخر ما أتيح من السجود للمخلوقين.

وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 34)، ويظهر لنا من سياق الآية أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم إجلالاً وتكريم له وليس مفهوم السجود للعبادة، فالنبي صلى الله عليه

وسلم قال: (لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)³⁸ وهنا السجود لعظم حق هذا الزوج وما يتطلبه هذا الحق من التكريم والنهوض بحقوقه والخضوع الكامل له، فيما لا يعارض خضوعها لربها -تبارك وتعالى- ولا يُزاحمه.

وقال تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة الحجر، الآية 29)، فهنا سجود تحية وتكرمة لا سجود عبادة³⁹، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (سورة ص، الآية 72)، فوطّن الملائكة الكرام أنفسهم على ذلك، حين يتم خلقه ونفخ الروح فيه، امثالاً لربهم، وإكراماً لآدم عليه السلام، فلما تم خلقه في بدنه وروحه، وامتنح الله آدم والملائكة في العلم، وظهر فضله عليهم، أمرهم الله بالسجود⁴⁰.

ومما سبق تجد بأن مواضع سجود الملائكة لآدم عليه السلام قد تكررت في خمس مناسبات بصورة واحدة في كل من سورة البقرة والأعراف والإسراء والكهف وطه، ثم تكررت أيضاً مرتين بصورة أخرى في كل من سورة الحجر وسورة ص والتكرار هنا يعني بأنه لفظي يُعطي الصورة القوة والتأكيد أكثر مما تعطيه الصورة الواحدة.

تكريم الله عز وجل للإنسان ظاهر في العديد من الآيات في القرآن الكريم، ومن بين هذه القصص تأتي قصة تكريم الله للنبي آدم عليه السلام عندما سجدت الملائكة له، فأمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام وقاموا جميعاً بطاعة هذا الأمر إلا إبليس الذي رفض وعصى أمر الله، وهذا الحادث يُظهر التكريم الخاص الذي قام به الله للإنسان، حيث كرمه بسجود الملائكة له، مما يُظهر الرفعة والمكانة التي أعطاها الله للإنسان في الخلق.

المطلب الثاني: خلق الإنسان في أحسن تقويم

إن القرآن الكريم لم يُزل لِيُعَلِّمَنَا تفاصيل أسرار الوجود والخلق فقط، ولكنه أشار إليها وسجلها ليظهر الإعجاز الإلهي للإنسان في كل حقبة زمنية وبكل تقدم علمي ومعرفي بشري، ويمكن رؤية القرآن الكريم كمرشد ودليل يسلط الضوء على عظمة الخالق وحكمته في خلقه، وعلى الرغم من كل هذا ينبغي ألا يُرتبط القرآن الكريم بالنظريات العلمية البشرية، حيث لا يُقيم القرآن الكريم على صحته بمجرد اتفاقه مع أي نظرية علمية.

والله سبحانه وتعالى حين أوجد الحياة أبلغنا بطريقة الخلق ومعجزته وذلك عن طريق تكريم الإنسان وخلقته في أحسن تقويم فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (سورة التين، الآية 04)، أي: أعدل قامة وأحسن صورة، وذلك أنه خلق كل حيوان منكباً على وجهه إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده، مزيناً بالعقل والتمييز⁴¹، وقال عز

وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (سورة البقرة، الآية 30)، فهذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض⁴²، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ (سورة الكهف، الآية 37)، أي: قال له صاحبه المؤمن، ناصحاً له، ومذكراً له حاله الأولى، التي أوجده الله فيها في الدنيا فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والإمداد، وواصل عليك النعم، ونقلك من طور إلى طور، حتى سواك رجلاً، كامل الأعضاء والجوارح المحسوسة، والمعقولة، وبذلك يسر لك الأسباب، وهياً لك ما هياً من نعم الدنيا، فلم تحصل لك الدنيا بحولك وقوتك، بل بفضل الله تعالى عليك⁴³، وقال عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية 14)، أي: ثم نفخنا فيه الروح فتحرك وصار (خلقا آخر) ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب، وقوله: (فتبارك الله أحسن الخالقين) يعني: حين ذكر قدرته ولطفه في خلق هذه النطفة من حال إلى حال، وشكل إلى شكل، حتى تصورت إلى ما صارت إليه من الإنسان السوي الكامل الخلق⁴⁴.

الله عز وجل خلق الله الإنسان ونفخ فيه من روحه، صاغه يتقان وتوزيع متناغم، وجعله في أجمل صورة وأروع تكوين، ووهبه عقلاً يفكر ويتدبر، وزوده بأعضاء منها عيان ترى العالم بجماله وعجائبه، ولساناً يعبر بحكمة وشفتين تنطق بالخير والحكمة، لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (سورة البلد، الآية 10)، وأعطاه قلباً ينبض بالحياة ويشعر بالمشاعر والأحاسيس، وجعل الإنسان قادراً على استكشاف أسرار الكون الذي خلقه الله، والتأمل في تفاصيله الرائعة، وفهم ما يحيط به من جمال وعجائب، وبالإضافة إلى ذلك بعث الله الرسل ليهدي الإنسان، وجعل في نفسه آيات تدل على وجوده العظيم وحكمته البالغة، ليدرك العقلاء ويفهمها أولو الألباب، ويشكروا الله على هذه النعمة العظيمة.

إن خلق الإنسان في أحسن تقويم يمثل أحد الحقائق العميقة والمذهلة التي يشير إليها القرآن الكريم. فالإنسان يعد أعظم خلق الله، حيث جعله الله خليفة في الأرض، مكلفاً بمسؤولياته ومهامه الرفيعة، وتفصيل خلق الإنسان في القرآن الكريم يتجلى في الآيات التي تذكر تكوينه ومكوناته، وتبرز عظمة الله في خلقه.

في البداية أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى أن الإنسان خُلِقَ في أحسن تقويم، أي بأجمل صورة وأروع تصميم، والله عز وجل صاغ الإنسان يتقان وجعله مجسداً للجمال والكمال

في هيئته ومظهره، ذلك أن الإنسان يتمتع بعقل يميزه عن غيره من المخلوقات وبقدرة على التفكير والإدراك، وفيما يتعلق بالجانب الجسدي فالله تعالى أعطى للإنسان عينين ترى بهما العالم وتستمتع بجمال الخلق، وأعطاه لسانًا وشفيتين يعبر بهما، وقلب الإنسان الذي ينبض بالحياة ويشعر بالمشاعر والأحاسيس دور كبير في توجيهه وقيادته في هذه الحياة، وإضافةً إلى ذلك خلق الله عز وجل الإنسان بقدرة على استكشاف أسرار الكون وتفصيله الرائعة، وأعطاه الموهبة لفهم العالم من حوله، ومن خلال هذه القدرات يمكن للإنسان أن يدرك عظمة الخالق وحكمته في خلقه، مما يجعله مسؤولاً عن الحفاظ على هذه النعمة واستخدامها في سبيل الخير والنمو الروحي والمعرفي، وهكذا يعتبر خلق الإنسان في أحسن تقويم إشارة قاطعة إلى رحمة وحكمة الله، وتذكيرًا للإنسان بالمسؤولية الكبيرة التي حملها، وبضرورة شكر الله على هذه النعمة العظيمة واستخدامها في طاعته وخدمة الإنسانية.

المطلب الثالث: تسخير ما في الكون للإنسان

هناك العديد من الآيات في القرآن الكريم التي يُشير إلى عظمة خلق الله وتنوع المخلوقات التي سخرها لخدمة الإنسان، وتبرز هذه الآيات في الأرض والسماء وكل ما يحتويهما من موارد ومخلوقات، وتظهر كيف أن هذه المخلوقات تخضع لإرادة الله وتخدم إرادته بلا معصية، فالأرض على سبيل المثال تُؤدي جميع وظائفها لخدمة البشر جميعًا، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، وأن الله تعالى هو الذي يُوقر احتياجات جميع المخلوقات، سواء كانت حيوانات أو نباتات، بما في ذلك الدواب والأنعام والأصناف المتعددة للنباتات، تُخدم هذه المخلوقات الغنية بتنوعها الإنسان وتلبية احتياجاته المتنوعة.

وقد أشارت العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى تسخير الموجودات للإنسان، ويتضح ذلك بالتأمل في قوله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (سورة هود، الآية 61)، أي: استخلفكم فيها، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، ومكنكم في الأرض، تبنون، وتغرسون، وتزرعون، وتحراثون ما شئتم، وتنتفعون بمنافعها، وتستغلون مصلحتها، فكما أنه لا شريك له في جميع ذلك، فلا تشركوا به في عبادته ⁴⁵، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (سورة لقمان، الآية 20)، أي ذكر نعمه على بني آدم، وأنه سخر لهم ما في السماوات من شمس وقمر ونجوم وملائكة تحوطهم وتجري إليهم منافعهم، وما في الأرض عام في الجبال والأشجار والثمار وما لا يحصى، وأسبغ عليكم نعمه أي أكملها وأتمها ⁴⁶، وقال عز وعلا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

مِنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ (سورة الجاثية، الآية 13)، أي: من فضله وإحسانه، وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض ولما أودع الله فيهما من الشمس والقمر والكواكب والشوَاب والسيارات وأنواع الحيوانات وأصناف الأشجار والثمار وأجناس المعادن وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم ومصالح ما هو من ضروراته، فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهمهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه⁴⁷، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّوْخًا وَتَرَى الْفُلَ مَوْخًا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 14)، يقول تعالى ذكره: والذي فعل هذه الأفعال بكم، وأنعم عليكم، أيها الناس هذه النعم، الذي سخر لكم البحر، وهو كل نهر، ملحا ماؤه أو عذبا (لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وهو السمك الذي يصطاد منه. (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مَّوْخًا) وهو اللؤلؤ والمرجان⁴⁸.

ومما سبق يمكننا القول بأن القرآن الكريم يُبرز بوضوح فكرة تسخير ما في الكون للإنسان، حيث يُظهر كيف أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الكون بأكمله وسخر موارده ومخلوقاته لخدمة الإنسان، يُشير القرآن الكريم إلى عظمة الخلق وتنوعه في السماوات والأرض، وكيف أن كل ما فيها من نجوم وكواكب وحيوانات ونباتات، يخضع لإرادة الله ويخدم إرادته، والإنسان هو خليفة الله في الأرض، وهو الذي سخر له ما في السماوات والأرض جميعا، ويمكننا أن نرى هذا الاستخدام المستدام والحكيم للموارد في العديد من الآيات القرآنية التي تشير إلى البحار والمحيطات التي يأخذ الإنسان منها غنائمه، سواء كانت غذاء طيبا أو لآخرين حيث تُسخر أيضا لاستخراج المواد الثمينة مثل اللؤلؤ والمرجان، وبهذا التسخير يُشجع الإنسان على أداء وظيفته كخليفة وإدارة الموارد بحكمة ورعاية، ويجب عليه أن يكون شاكرا لنعم الله وممتنا لهذه الخدمة المستمرة، وفهم المسؤوليات التي فرضت عليه للحفاظ على هذه الموارد واستخدامها بحكمة، وذلك حتى يُظهر التقدير لهذه النعم ويُحقق التوازن بين استخدام الموارد وحفظها للأجيال القادمة.

المبحث الثالث:

وحدة وسائل المعرفة

عندما نتكلم عن القرآن الكريم فإننا نتكلم على المصدر الأساسي للحقائق والمعارف في الإسلام، حيث يقدم إرشادات حول الأمور الغيبية مثل الإيمان بالله تعالى والملائكة والقدر والحياة الآخرة، كما يحكم الأصول والقيم التي يجب على المسلمين العيش وفقها، ويشجع القرآن

الكريم على السعي لفهم الكون والبحث عن المعرفة فيه، ويحث الإنسان على استخدام حواسه وعقله لاستكشاف الكون وفهم الظواهر المحيطة به، ويبرز القرآن الكريم أهمية استخدام الحواس مثل السمع والبصر في استكشاف العالم واكتساب المعرفة، ويشجع على استخدام العقل لفهم الظواهر المحيطة بنا، مما يعزز من أهمية الوحي والإلهام في توجيه الإنسان نحو الحقيقة والمعرفة.

المطلب الأول: وسائل المعرفة الإنسانية

يُسلِّط القرآن الكريم الضوء بشكل كبير على وسائل المعرفة الإنسانية، كأساس لفهم الحقائق واكتساب المعرفة، ويحث القرآن الكريم البشر على استخدام عقولهم وتفكيرهم النقدي لفهم العالم واستكشاف الحقائق المحيطة بهم، وفي الوقت نفسه يُشجِّع على استخدام الحواس، سواء السمع أو البصر، لاستقبال المعلومات واستيعاب الجوانب المختلفة من الخلق والطبيعة، فمن خلال توجيهاته يُلهم القرآن الكريم البشرية على البحث المستمر والتساؤل، ويظهر أهمية دمج العقل والحواس في رحلة البحث عن المعرفة، وبذلك يعزز القرآن الكريم من أهمية استخدام هذه الوسائل لاستكشاف الحقائق والوصول إلى فهم عميق وشامل للعالم من حولنا.

أولاً: العقل: دعا القرآن الكريم إلى تحرير العقول من قيودها ودفعها نحو التأمل في عجائب الكون والسموات والأرض، وشجع على استخدامها بشكل إبداعي في جميع جوانب الحياة، وحث على الاستفادة القصوى من العقل وتنميته، ودعا إلى عدم تقييده بالأفكار المحددة أو العادات التقليدية، وأكد على أهمية عدم الانغماس في التعصب والتقليد الأعمى، وحث على التفكير النقدي والابتكار، مشجعاً على تجنب الخرافات والأساطير في الفهم والتفكير، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (سورة الغاشية، الآية 17)، يقول تعالى حثاً للذين لا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم، ولغيرهم من الناس، أن يتفكروا في مخلوقات الله الدالة على توحيده ⁴⁹.

بعث الله عز وجل سيدنا مُحَمَّد - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة ليخرج الناس من ظلمات الجهل والجور والشرك والضلال، ويقودهم نحو نور العلم والعدل والتوحيد والهدى، ففي العصور القديمة وحتى في عهد بعثة سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم كان العالم يعاني من الظلمات الكثيرة، وكان أساسها الجهل الذي كان يؤدي إلى باقي الأمور الظلمة، لذا كان من الطبيعي والمنطقي أن يكون الشعار الأساسي للدين الذي اكتمل بوصول سيدنا مُحَمَّد هو "اقرأ"،

ليبرز أهمية العقل والتفكير والعلم، وليكون التعليم والتعلم من أساسيات التطور البشري الذي دعا إليه الإسلام.

وباستخدام العقل يمكن للإنسان التمييز بين الخير والشر، وبين الفائدة والضرر، ويستطيع التمييز بين الحقيقة والباطل، فباستخدامه بشكل صحيح يمكن للإنسان فهم الأمور بوضوح ويحافظ على هذا التمييز، وبالإضافة إلى ذلك عندما يسعى الإنسان لاكتساب المعرفة، يمكنه فهم الحقائق الأساسية والدلالات العميقة للأشياء، ويدرك بذلك عظمة الله عز وجل وقدرته، وصفات الكمال والجمال التي خلق بها الكون والمخلوقات، قال: ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُوكُمْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (سورة الحج، الآية 46)، لمن كان له عقل يتدبر به فكفى بالقلب عن العقل.. وقيل لمن كان له نفس مميزة، فعبّر عن النفس البشرية بالقلب⁵⁰، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (سورة ق، الآية 37)، وذكر الصحاح أن كلمة "قلب" تعني العقل، وقال عز وجل ﴿تَنَزَّلُ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (سورة الشعراء، الآية 194)، أي على وعيك وإدراكك وفكرك وعقلك.

ثانياً: الحواس: الحس هو الصوت الذي لا يُسمع بوضوح، وهو أول ما يدرك بواسطة الحواس. عندما نقول "أحسست بالخبر"، نعني أننا تلقينا الخبر بالحس، أي أصبح لدينا يقين بالخبر الذي تلقيناه. يُستخدم مصطلح "حس" أيضاً للدلالة على الاطلاع على الأمور أو معرفتها، سواء رأينا الشيء أم سمعنا حركته، وذلك من خلال استخدام حواسنا وإدراكنا للعالم المحيط بنا، قال ابن الأثير: "الإحساس العلم بالحواس، وهي مشاعر الإنسان، كالعين، والأذن، والأنف، واللسان، واليد، وحواس الإنسان: المشاعر الخمسة، وهي: الطعم، والشم، والبصر، والسمع، واللمس"⁵¹.

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 179)، وصفهم الله عز وجل فقال لهم قلوب لا يفقهون بها بمنزلة من لا يفقه؛ لأنهم لا ينتفعون بها، ولا يعقلون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وأعين لا يبصرون بها الهدى، وآذان لا يسمعون بها المواعظ، وليس الغرض نفي الإدراكات عن حواسهم⁵²، قوله تعالى:- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ (سورة البلد، الآية 09)، للجمال والبصر والنطق، وغير ذلك من المنافع الضرورية فيها، فهذه نعم الدنيا⁵³، وقال عز وجل ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 78)، فالحس هو أول ما يدرك بوضوح، وهو أول ما يدرك بواسطة الحواس.

الثلاثة، لشرفها وفضلها ولأنها مفتاح لكل علم، فلا وصل للعبد علم إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل ينميها فيهم شيئاً فشيئاً إلى أن يصل كل أحد إلى الحالة اللاتقة به، وذلك لأجل أن يشكروا الله، باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمن استعملها في غير ذلك كانت حجة عليه وقابل النعمة بأقبح المقابلة⁵⁴.

وهناك آيات تدل على حاسة اللمس في القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَزِيرًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء، الآية 56)، فالله تعالى يخبر عما يعاقب به الكافر في نار جهنم جزاءً عن كفره بآيات الله وصدده عن رسله، فقال: (إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا) أي ندخلهم نارا دخولا يحيط بجميع أجزائهم وأجزاءهم، ثم أخبر عن دوام عقوبتهم ونكالهم، فقال: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) قال: الأعمش، عن ابن عمر إذا أحرقت جلودهم بدلوا جلودا بيضا أمثال القراطيس. رواه ابن أبي حاتم⁵⁵.

الحواس تُعدُّ جزءاً أساسياً من الإنسان ومعرفته، حيث يُشير القرآن الكريم إلى أهميتها ودورها في فهم الحقائق، وتُظهر الآيات القرآنية مدى حكمة الله في خلق الإنسان بحواسه المتعددة، وكيفية استخدامها للاستفادة من العالم المحيط به، ويُذكر أهمية البصر والسمع واللمس والشم والذوق كنعمة من الله، وكيف يمكن للإنسان أن يستفيد من هذه الحواس في فهم الآيات والعلوم والمعاني، وكما يُشير القرآن إلى أهمية استخدام الحواس بحذر وتركيز للوصول إلى المعرفة الحقيقية والحكمة في الحياة.

المطلب الثاني: تفعيل وسائل المعرفة

فرض الله سبحانه وتعالى على الإنسان العديد من العبادات التي تقربه إليه، ومن بين هذه العبادات الجميلة هي عبادة التفكير والتأمل والتدبر في خلق الله والكون، وتحث الآيات القرآنية على التأمل والتفكير بغية زيادة العلم والمعرفة حول مخلوقات الله سبحانه وتعالى، حيث هذه الآيات تشجع على التأمل في العجائب الكونية وتحث على النظر العميق في الخلق، مما يساعد في تعزيز الوعي والإيمان بعظمة الله وحكمته في خلق هذا العالم.

ومن الآيات التي تدعو إلى التفكير في خلق الله قوله تعالى: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ﴾ (سورة يونس، الآية 101)، يدعو تعالى عباده

إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك آيات لقوم يؤمنون، وعبراً لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده، المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام، والأسماء والصفات العظام⁵⁶، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران، الآية 190)، وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، وأبهم قوله: {آيات} ولم يقل: "على المطلب الفلاني" إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهز الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وألا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا غيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وخص الله بالآيات أولي الأبواب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم⁵⁷، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَافَعْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (سورة ق، الآية 06)، وهنا قوله تعالى: أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم نظر اعتبار وتفكر، وأن القادر على إيجادها قادر على الإعادة⁵⁸، ويقول تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَ﴾ (سورة الغاشية، الآية 17)، يقول تعالى أمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته⁵⁹، وقال عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 185)، أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض فإنهم إذا نظروا إليها، وجدوها أدلة دالة على توحيد ربها، وعلى ما له من صفات الكمال. وكذلك لينظروا إلى جميع ما خلق الله من شيء فإن جميع أجزاء العالم، يدل أعظم دلالة على الله وقدرته وحكمته وسعة رحمته، وإحسانه، ونفوذ مشيئته، وغير ذلك من صفاته العظيمة، الدالة على تفرد الخلق والتدبير، الموجبة لأن يكون هو المعبود المحمود، المسبح الموحد المحبوب. وقوله: وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ أَي: لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم قبل أن يقترب أجلهم، ويفاجئهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون

حينئذ، من استدراك الفارط. فَبَإَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ أَي: إذا لم يؤمنوا بهذا الكتاب الجليل، فَبَإَيِّ حَدِيثٍ يُؤْمِنُونَ به؟ "أبكتب الكذب والضلال؟ أم بحديث كل مفتر دجال؟ ولكن الضال لا حيلة فيه، ولا سبيل إلى هدايته".⁶⁰

التأمل والتفكر في خلق الله هما عبادات تقرب الإنسان إلى الله وتزيد من إيمانه ورقبه الروحي، فمن خلال التأمل في الكون يمكن للإنسان أن يدرك جبال وتناعم الخلق ويفهم حكمة ورحمة الله في تنظيم هذا الكون، والقرآن الكريم يشجع على النظر في السماوات والأرض ومخلوقات الله ويدعو إلى التفكير في العجائب الكونية والنظر العميق في خلق الله، هذا التأمل والتدبر يعززان الإيمان يساعدان في اكتساب المعرفة والحكمة ويعززان الوعي بعظمة الله وحكمته في خلق هذا العالم.

المطلب الثالث: تعطيل وسائل المعرفة

لقد شبه لنا القرآن الكريم حال الإنسان الذي عطل وسائل المعرفة لديه بتشبيهات عديدة، منها أنهم كالأنعام، ومنها أنهم كالمتى، أو كالأعمى والأصم والأبكم، وهذا التشبيه بالأنعام قد ورد في أربع مواضع، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْقُبُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية 171)، شبه تعالى واعظ الكفار وداعيتهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم بالراعي الذي ينقب بالغنم والإبل فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه⁶¹، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 179)، يقول تعالى مبينا كثرة الغالوتين الضالين، المتبعين إبليس اللعين: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا أُدْنَىٰ وَأُبْحَنَىٰ لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ صَارَتِ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالَةٍ مِنْهُمْ. لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا أَي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة. وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها. وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا سماعا يصل معناه إلى قلوبهم. أُولَئِكَ الَّذِينَ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ الْقَبِيحَةِ كَالْأَنْعَامِ أَي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء آثروا ما يفنى على ما يبقى، فسلبوا خاصية العقل. بَلْ هُمْ أَضَلُّ مِنَ الْبَهَائِمِ، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان، تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالا منهم⁶²، وقال عز وجل: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (سورة الفرقان، الآية 44)، أي: أسوأ حالا من الأنعام السارحة، فإن تلك تعقل ما خلقت له، وهؤلاء خلقوا لعبادة الله وحده لا شريك له، وهم يعبدون غيره ويشركون به، مع قيام الحجة

عليهم، وإرسال الرسل إليهم⁶³، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ (سورة محمد، الآية 12)، ولما ذكر أن الكافرين لا مولى لهم، ذكر أنهم وُكِّلُوا إلى أنفسهم، فلم يتصفوا بصفات المروءة، ولا الصفات الإنسانية، بل نزلوا عنها دركات، وصاروا كالأنعام، التي لا عقل لها ولا فضل، بل جل همهم ومقصدهم التمتع بلذات الدنيا وشهواتها، فترى حركاتهم الظاهرة والباطنة دائرة حولها، غير متعدية لها إلى ما فيه الخير والسعادة، ولهذا كانت النار مَثْوًى لهم، أي: منزلا معدا، لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم من عذابها⁶⁴.

وقد جاء التشبيه أيضا بالميت وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ مِمَّنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 122)، أي: كان ضالا فهديناه، كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان⁶⁵، وجاء التشبيه بالأعمى والأصم لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة هود، الآية 24)، فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه، أصم عن سماع الحجج، فلا يسمع ما ينفع به⁶⁶، وجاء تشبيه المرتد في الإسلام كالكلب لقوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 176)، اتَّبَعَ هَوَاهُ وترك طاعة مولاه، فَمَثَلُهُ في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا⁶⁷.

مما سبق نجد أن القرآن الكريم يظهر لنا صورا بديعة وتشبيهات دقيقة تلقي الضوء على حال الإنسان الذي يعطل وسائل المعرفة لديه ويتجاهل الهدى، ففي كل تشبيه نرى رسالة قوية تدعونا إلى الإيمان والتفكير والتدبر، فهي تذكير لنا بأهمية الهداية والعقل في رؤية الحق واتباعه، لذا دعونا نستخدم هذه الرسائل العميقة لنوجه قلوبنا نحو الله ونعمل على السعي للعلم والحكمة، ونحافظ على هدايتنا ونعرف قيمة الإيمان في حياتنا.

الخاتمة:

وختاما وفي ظل وجود نعمتي العقل والحواس تتجسد عظمة الإنسان وذلك باكتشاف غاياته ومقاصده في هذا الكون الواسع، وتقودنا دراستنا العميقة في وحدة المعرفة

وكرامة الإنسان إلى استكشافات لا نهائية، حيث نجد في العقل الإنساني قدرة عجيبة على التمييز والتحليل، وفي الحواس خزاناً للإدراك والاستشعار، وقد كشفت دراستنا عن أهمية تفعيل وسائل المعرفة والتفكير العقلي في حياة الإنسان، وتبين لنا أن استخدام العقل بصورة صحيحة يمكن أن يوجهنا نحو فهم عميق للحقائق الروحية والدينية، ويزيد من إدراكنا لعمق الكون وتنوعه، بالإضافة إلى ذلك أظهرت الآيات القرآنية أهمية التفكير في خلق الله وتدبر آثاره، حيث يمكننا من خلالها الوصول إلى درجات جديدة من الإدراك والرؤية، ومن الجدير بالذكر أن تعطيل وسائل المعرفة يؤدي إلى تقييد حرية الإنسان وكرامته، فعندما يتجاهل الإنسان وحدة المعرفة ويعرقل العقل والحواس يفقد القدرة على فهم العالم من حوله والاستفادة من خيرات، وهذا التعطيل يجعله يشبه الأنعام الذي لا يدرك قيمة العقل والحواس.

نتائج الدراسة: توصلت الدراسة الى النتائج الآتية:

- تحقيق إدراك أفضل لكيفية تطبيق مفاهيم وحدة التكوين والكرامة في حياة الإنسان وتوجيه سلوكه.
- تحسين الفهم حول كيفية تكوين الإنسان وتأثير العوامل المحيطة على كرامته.
- فهم أعمق للتفاعل بين التعاليم الدينية والاكتشافات العلمية الحديثة حول الإنسان.
- زيادة الوعي حول القضايا الإنسانية في الإسلام وكيفية تحقيق التكامل بين الدين والحياة اليومية.
- تطوير قدرات التفكير النقدي والقدرة على تقييم وفهم التعاليم الدينية بشكل أعمق.
- بناء قيم التسامح والاحترام المتبادل من خلال تفهم أفضل للتعاليم الإسلامية حول الوحدة والكرامة.
- نقل المعرفة والفهم لتحقيق تأثير إيجابي في المجتمع من خلال التشجيع على الحوار والتعاون.

الهوامش:

- 1 عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، شرح تفسير ابن كثير، ج 104، 2019، ص 2.
- 2 محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط 1، تخ: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000، ص 446.

- 3 أبو جعفر مُحمَّد بن جرير الطبري (224 - 310 هـ)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تخ: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر، ط 1، ص 531.
- 4 أبو مُحمَّد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تخ: مُحمَّد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ج 14، 1997، ص 263.
- 5 رواه الترمذي، في سنن الترمذي، عن أبي موسى الأشعري، الصفحة أو الرقم: 2955، حسن صحيح.
- 6 الرازي مُحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان، 1988، ص 110.
- 7 الدامغاني الحسين بن مُحمَّد، إصلاح الوجوه والنظائر (قاموس القرآن الكريم)، تخ: عبد العزيز سيّد الأهل، دار العلم للمالين، لبنان، ط 3، 1980، ص 212-213.
- 8 الجرجاني السيد الشريف، التعريفات، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1357هـ، ص 99.
- 9 الغزالي مُحمَّد بن مُحمَّد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، لبنان، د ت، ج 4، ص 494.
- 10 ابن قيم الجوزية مُحمَّد بن أبي بكر، الروح، دار الفكر، الأردن، 1986، ص 249.
- 11 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق حسين إبراهيم زهران، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ج 3، 2000، ص 102.
- 12 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ج 7، ص 5911.
- 13 ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات مُحمَّد علي بيضون - بيروت، ج 3، 1419هـ، ص 251.
- 14 البخاري: بدء الخلق، ومسلم: القدر.
- 15 جار الله محمود بن عمر بن مُحمَّد الزمخشري أبو القاسم، الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3، 1995، ص 178.
- 16 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 434.
- 17 الإمام مالك، كتاب الموطأ، تخ: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، ج 1، 1985، ص 241.
- 18 مُحمَّد الأمين بن مُحمَّد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تخ: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1995.
- 19 أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، تخ: مُحمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، 1392هـ، ص 45.
- 20 مُحمَّد بن أحمد بن مُحمَّد الغرناطي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، لبنان، 1983، ص 86.

- 21 أحمد عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی أبو العباس، توحید الألوهیة، تح: عبد الرحمن بن مُحمَّد بن قاسم العاصمي النجدي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تیمیة، ص 65.
- 22 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ص 137.
- 23 أبو مُحمَّد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تح: مُحمَّد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، ط 4، 1997، ص 434.
- 24 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المرجع السابق، ص 311.
- 25 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ص 407.
- 26 أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم عليه السلام وذريته، (4 / 133)، برقم: (3331)، ومسلم، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، (2 / 1091)، برقم: (1468).
- 27 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ص 77.
- 28 أبو الحسن علي بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تفسير الماوردي = النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان، د ت، ص 446.
- 29 أبو عبد الله، مُحمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964، ص 274.
- 30 أبو عبد الله مُحمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، 1430هـ، ص 80.
- 31 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 175.
- 32 عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، شرح سنن أبي داود، ص 7.
- 33 الخفاجي أحمد بن مُحمَّد حاشية الشهاب على تفسير البضاوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 6، ط 1، 1417هـ، ص 563.
- 34 مُحمَّد نعيم ياسين، أبحاث فقهية في قضايا طبية معاصرة، دار النفائس، الأردن، ط 1، 1416هـ، ص 42.
- 35 رواه ابن حبان في صحيحه.
- 36 رواه البيهقي في السنن.
- 37 مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل، الكويت، ط 2، ص 322.
- 38 أخرجه النسائي (ق 85 / 2)، وأحمد (3 / 158)، وقال المنذري: "رواه أحمد بإسناد جيد، رواه ثقات مشهورون، والبخار بنحوه".

- 39 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ص 263.
- 40 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 2002، ص 457.
- 41 البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المرجع السابق، ص 597.
- 42 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 06.
- 43 السعدي، المصدر السابق، ص 298.
- 44 ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 342.
- 45 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 228.
- 46 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ص 413.
- 47 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 499.
- 48 الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المصدر السابق، ص 268.
- 49 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 592.
- 50 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق، ص 23.
- 51 ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 4، 2008، ص 117-118، مادة [حسس].
- 52 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ص 174.
- 53 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 594.
- 54 السعدي، المصدر نفسه، ص 275.
- 55 مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 5، 1984هـ، ص 90.
- 56 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المرجع السابق، ص 220.
- 57 السعدي، المصدر نفسه، ص 75.
- 58 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ص 518.
- 59 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 592.
- 60 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 174.
- 61 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المصدر السابق، ص 26.
- 62 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 174.
- 63 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 364.
- 64 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 508.
- 65 البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المصدر السابق، ص 143.

- 66 ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ص 224.
- 67 عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المصدر السابق، ص 173.